تاريخ شعراء العربية

شعراء العصر العباسي الأول

العتّابيّ



إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمه ونشأته

هو كلثومُ بن عمرو العتّابي ، أبو عمرو ، ينحدر من سُلالة الشاعر الجاهلي المشهور ، زعيم بني تغلب الذي قتل ملكَ المناذرة عمرَو بنَ هند وافتخر بذلك الصنيع افتخاراً واسعاً في معلّقته التي عدّتْها تغلب بمثابة ملحمة لها ترويها في كل آن ومكان ، حتى قال خصومهم :

ألهَى بني تغلبٍ عن كلّ مكرمةٍ قصيدةٌ قالَها عمرُو بن كُلْثوم

وقد افتخر العتابي بعمرو بن كلثوم فقال :

إنّي ابنُ عمرو بن كلثوم يسوّده حيّا ربيعةَ ، والأحياءُ مِنْ مُضَرِ

وكان مولدَ كلثوم العتابي في قنّسرين التي تقع على بُعْد ثلاثين (كم) جنوبَ حلب . وفي قنّسرين كانت نشأته ثم انتقل إلى الرقة ، وبعدها إلى بغداد .

يعرض بدايات شعره على بشار

أغلب الظّنّ أنّ ميلاد العتابي كان قبل عام / ١٥٠ / هـ ، لأننا نراه وهو في أوائل شبابه يجتمع في العراق ببشار بن برد ، ويعرض عليه بعض شعره وهو قوله :

أيصدِفُ عن أُمامةَ أم يُقيمُ وعهدُك بالصّبا عهدٌ قديمُ (١)
أقول لمستعارِ القلْب عفًى على عزَماتِه السَّيْرُ العديمُ (٢)

---

(١) يصدف : يعرض .

(٢) عفّى : محا .

أما يكفيك أنّ دموع عيني شآبيبٌ تفيض بها الهمومُ (١)
أشِيمُ فلا أرُدُّ الطَّـرْفَ إلا على أرجائـــه ماءً سَجُومُ (٢)

في العراق

رحل العتابيُّ إلى العراق ليشهدَ في البصرة ثمّ في الكوفة وبغداد الحركة العلمية النشْيطَة التي نهض بها اللغويّون ورواة الشعر وأصحاب الكلام والفقهاء وأُعجب بشعر أبي العتاهية ، ونظر إليه على أنه أشعر الناس في عصره وأقبل العتابيُّ على التبحّر في العلم ، والتزوّد من الكتب ، والاستكثار من المطالعة في المكتبات العامّة والخاصّة ، وفي دور الوَرّاقين ، وتعلّم اللغة الفارسية ، وقرأ آثار ابن المقفّع المترجمة والمؤلّفة .

واستمالتْه تلكم القراءة ، لكلّ ما يقع في يده من كتب ، حتى قال له قائل والعتابي يقرأ في كتاب : ماذا ينفعُ العلمُ والأدبُ مَنْ لا مالَ له ؟ فقال العتابيّ :

يا قاتل اللهُ أقـواماً إذا ثَقِفُـوا ذا اللُّبَ ينظرُ في الآداب والحِكَمِ (٣)
قـالـوا وليْـسَ بهم إلا نفاستُه أنــافــعٌ ذا مــن الإقتــارِ والعَـدمِ
وليس يدرُون أنّ الحظَّ ما حُرِمُوا لحــاهــمُ اللهُ مـن عِلْمٍ ومن فَهمِ

فهو يدعو على أولئك الّذين إذا رأوا عاقلاً أريباً يطّلع على شيء حسدوه وسعَوا إلى ادخال الرِّيْبَة في صدره من جدْوَى العلم ، فها هو ذا فقير مُعْلِم وكأنّ المال هو كلّ شيء في الحياة ، مع أنّ المال ، لا يعدلُ شيئاً إذا قيس بالعلم الذي حُرِمُوا منه ، ويدعو عليهم باللَّعْنة .

---

(١) شآبيب : خُطوط ، حبال . (٢) أشيم : أنظر . سَجُوم : منهمل سائل .

(٣) ثقفوا : وجدوا .

وصف الكتاب ، وإقباله على الكتب

الكتابُ نِعْمَ الأنيس والجليس ، والنديم والصاحب ، وحسبُك معاشر لا تَمَلُّ حديثه ، وصديق أمين مؤتَمَن ، سواء لدى حضورك أم غيابك ، وهو يخبرك من علوم الأقدمين ، وتتزوّد منه رأياً صائباً ، وأدباً جمَّاً ، وكلُّ ما فيه صلاح ورشد ، هذا مع أمْنِكَ بوائقَه (١) ، واطمئنانك إلى عدم غدره ، وعدم خيانته وعدم اعتدائه ، إنه حيٌّ يتكلّم بالحكمة وبكل ما ينفع ، ولكنه ميت ، لأنّ تكلّمه بلا صوت ، ولا لسان :

لنا نُدَماءُ ما نَمَلُّ حديثَهم ... أمينون مأمونون غَيْباً ومَشْهدا (٢)
يُفيدوننا من علمهم علْمَ ما مضى ... ورأياً وتأديباً وأمراً مسدَّدا
بلا عِلّةٍ تُخْشَى ، ولا خوفِ ريبةٍ ... ولا نتّقي منهم بَناناً ولا يدا (٣)
فإن قلْتَ هم أحيا فلستَ بكاذبٍ ... وإنْ قلتَ هم موتَى فلستَ مفنّدًا (٤)

ومنذ كان في الرَّقّة بدأ يقتني مكتبة خاصّة به في بيته ، ونرى عبد الله بن طاهر والي المصْرين : الشام ومصر ، يزوره وهو في ذلك البيت ولكنّ بعض الناس قالوا : إنما هي خطرةٌ خطرتْ ، وزيارة عابرة ، واتّفاقة عارضة ، فقال العتابي :

يا مَنْ أفادتْني زيارتُه ... بعد الخمول نباهة الذِّكرِ
قالوا : الزيارة خطرة خطرَتْ ... ونجارُ بِرّك ليس بالخَطْرِ (٥)
فادفع مقالتهم بثانية ... تَستنفدُ المجهود من شكري

---

(١) بوائقه : شروره ، ونواقصه .

(٢) غيباً ومشهدا : في الغياب والشهود أي الحضور .

(٣) لا نتقي منهم بناناً ولايدا : كناية عن أنهم مسالمون لا يعتدون .

(٤) أحيا : أحياء . مفنّد : مكذَّب .   (٥) نجار : أصل ، خُلُق .

وكا ن في مرو ونيسابور كتب نفيسة ، فإذا به يُغِذّ الخُطا إليها ويستنسخ ما استطاع من كنوزها ، ولما سئل عن سبب صنيعه أجاب بأن المعاني والبلاغة إنما هي في كتب العجم ، و((اللغة لنا ، والمعاني لهم)) .

على أن العتابي لم يقبل على كتب الفرس وثقافتهم فحسب ، بل قرأ ما ترجم عن اليونانيّة ، أيضاً ، واطّلع على منطق أرسطو ، وألّف في هذا العلم وألّف في غير هذا العلم وفاضتْ معارفه ، فتخرّج عليه في الشعر منصور النمري ومسلم بن الوليد في رأي الجاحظ ، ونَقَلَ عنه في مؤلفاتهم : الأصمعي والجاحظ ، والمبرّد وابن قتيبة وأبو الفرج وابن عبد ربّه والجهشياريّ والبغداديّ وابن طيفور والقيرواني ...

طائفة من أخْلاقه

أدّى به شغفه بالقراءة إلى ضرب من الزهد والتَّقَشُّف والقناعة في متاع الدنيا ، حتى قالت له امرأته : هذا منصور النمري قد أخذ الأموال فحلّى نساءه وبنى داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هنا كما ترى ، فقال :

تلـومُ علـى تـرك الغنـى باهليّةٌ
زوى الدَّهْرُ عنها من طريف وتالدِ (١)
رأتْ حولها النِّسوانَ يَرفُلْنَ في الكُسَا
مقلّدةً أجيادُها بالقلائد (٢)
تقولُ أما تحدُوكَ للمجد همّةٌ
تنيلُكَ وجهاً من وجوه الفوائدِ (٣)

---

(١) الباهلية : زوجته . زوى : طوى . الطريف والتالد : المال المكتسب والمال الموروث.

(٢) الكسا : جمع كسوة . (٣) تحدوك : تدفعك .

أسركِ أنّي نلْتُ ما نال جعفر من الملك أو نـال يحيى بـنُ خالـدِ

وأنّ أمير المؤمنين أغصّنـي مُغَصَّهما بالمُرْهَفَـات البـوارد (١)

ذريني تجئني ميتتي مطمئنّـةً ولـم أتجشَّـمْ هـولَ تلك المواردِ (٢)

فإنّ رفيعاتِ الأمورِ مَشـوبـةٌ بمستودَعات في بطون الأساودِ (٣)

فامرأته – وهي من قبيلة باهلة – قليلة ذات اليد ، فهي تلومُه لِتَأَبّيـه عـن طَرْقِ باب الثراء ، من مدح خليفة أو وزير ، ليبلغ المجد ، وهو عند أكثر العامّة سعةُ المال والجاه ، فيحاول هو – من ناحيته – أن يقنعها بوجهة نظره ، فهـاهم أولاء البرامكة ، قد بلغوا من علّوّ الشأن ما بلغـوا ، ثـم زُلزلـوا زلـزالاً شـديداً فعـلامَ لا يعْتـبر بهـم ؟ فـالأوْلى أن يعيـش عيشـة هادئـة ، مبتعـداً عـن المخـاطر والمغامرات . فإن بلوغ العلا محفـوفٌ بـأهوال جسـام ، ومـا أشبهه باستخراج شيء من بطون الثعابين والأفاعي والأحناش .

ومن هنا آثر أن يحيا في تقشّف ، مهملاً شأن ملبسه ، قـائلاً : أَبْعَـدَ ا اللهُ رجلاً يرى أن يكون جماله في لباسه وعطره ، إنّمـا ذلـك حـظّ النسـاء ، وأهـل الأهواء ، حتى يرفعه أكبراه : همّتُه ولُبُّه ، ويعلوَ به معظّماه : لسانه وقلبه .

---

(١) يشير إلى نكبة البرامكة على يد الرشيد ، بسبب ميولهم القومية الانفصالية والمرهفات : السيوف الحادّة . البوارد : التي تبرُد الأرواح ، أي تفنيها .

(٢) أتجشّم : أقتحم .

(٣) الأساود : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيّات .

على أنه ليس بعيداً أنّ صلته القويّة بالبرامكة من قبل هي التي أحدثتْ ردّ الفعل هذا بعد نكبتهم ، وكان البرامكة أهل دهاء ، يجمّعون حولهم ما استطاعوا من أنصار ، مستخدمين مراكزهم وأموالهم ، ويقال إنّ العتّابيّ قد تأثّر بفكرة المعتزلة ، واستساغ مطالعة كتب الزنادقة . وساءَ حاله حتى طلبه الرشيد فهرب في الآفاق ، حتى شفع له البرامكة .

ومَضَتْ حياته بعد ذلك هادئة مطمئنة ، مُؤْثِراً العزلة ، فإن قلّ ما في يده مدح أحد الحكّام فأناله ، فمكث ينفق من ذلك النوال إلى أن يوشك على الانتهاء ، فيمدح آخر أو يسترفده ، فيعطيه ، وكانت حياة المجتمع آنئذ ميسورة وبقي على هذه الشاكلة إلى أن لبّى نداء ربّه عام / ٢٠٨ / هـ ، وقيل عام / ٢٢٠ / هـ .

تجربة مُخْفقة

مع أنّ العتّابيّ مدح الرشيد وأناله كثيراً من عطاياه بقي هواه للحبيب الأوّل للبرامكة ، وبسبب هواه لم يقلْ إن البرامكة أرادوا فصم الدولة العباسية وإحياء القومية الفارسية فنكَبهم الرشيد ، وإنّما صار ذا حذر يُوْجِس خَوْفاً وريبةً من معاملة الحُكّام ، وقد سئل مرّةً لم لا تقصد السلطان فتخدمه ؟ وكان سؤالهم له بعد نكبة البرامكة ، فقال : لأني أراه يُعْطي واحداً بغير حَسَنةٍ ولا يدٍ ويقتل الآخر بلا سيّئة ولا ذنب ، ولستُ أدري : أيّ الرجلين أنا ؟ ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به .

فإذا علمْنا أن السلطان الذي يتحدّث عنه إنما هو الرشيد ، وأنّه يعد الرشيد – كما ذكر العتابي في رسالة له إلى القاضي أبي يوسف – من أئمّة

الجور ، علمْنا مدى اتّباعه لهواه وهو يعمّي على الأسباب الحقيقية التي من أجلها فَتكَ الرشيد بالبرامكة .

وكأنّ هُوِيَّ نجمه الذي بزغ أيام البرامكة وقد أورثه سوداويّة مستمرّة صحبتْه مدى حياته ، ويأساً قاتماً ، يقول في بعض شعره :

ألا قد نُكِسَ الدَّهْرُ   فأضحى حلوه مرّا
وقد جرَّبْتُ مَنْ فيه   فلم أحمدْهمُ طُرًّا
فألزمْ نفسَكَ اليأسَ   من الناس تعشْ حُرًّا

بلاغته وكتبه

((كان العتابيّ ممن يجمع الخطابة والشعر الجيّد والرسائل الفاخرة ، مع البيان الحسن)) هكذا قال الجاحظ . وقال عبد الله بن المعتز : ((كان العتابي مجيداً مقتدراً على الشعر ، عذْب الكلام ، وكاتباً جيّد الرسائل حاذقاً وقلّما يجتمع هذا لأحد)) .

وقال العتابي : الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنّما تراها بعيون القلوب ، فإذا قدّمت منها مؤخَّراً ، أو أخّرْت منها مقدّماً ، أَفْصَدْتَ الصورةَ (١)، وغيّرْتَ المعنى ، كما لو حُوّل رأس إلى موضع يد ، أو يدٌ إلى موضع رجل لتحوّلت الخِلْقة ، وتغيّرت الحِلْية .

وإذاً فلا بدّ من وضع كل شيء موضعه في صياغة الكلام حتى لا يكون سيّيء النظم . وهو معيار بلاغي سبق فيه العتابي الجاحظ وغيره فيه .

---

(١) أفصد الصورة : شقّها وشوّهها .

وقال العتابيّ أيضاً : ((مَنْ قرض شعراً أو وضع كتاباً فقد استهدف للخصوم ، واستشرف للألسن ، إلا عندَ مَنْ نظر فيه بعين العدل ، وحكمَ بغير الهوى ، وقليل ما هم)) .

وقدْ سرد ابن النديم في كتابه الفهرست مجموعة من تصانيف العتابي منها كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الخيل وكتاب الألفاظ ، وكتاب الأجواد .

شعره

العتابي شاعر مُجيد ، وكان شعره رائقاً يصلح أن يخاطب به الخلفاء والوزراء والولاة ، مثل الرشيد والمأمون والبرامكة وطاهر بن الحسين ، وعبد الله بن طاهر ، فمدحهم به ، وقال أشعاراً في أغراض غير المديح .

ورأينا بصَره بالبلاغة ، من خلال ما مرّ له من نصوص أو أقوال في هذه الصناعة ، ويقول أيضاً عندما سئل : ما أقرب البلاغة ؟ : (أقرب البلاغة) ألا يُؤْتى السامع منْ سوء إفهام القائل ، ولا يؤتى القائل من سوء إفهام السامع . وسئل مرّة أخرى عن البليغ ، فقال : كلُّ مَنْ أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسة ، ولا استعانة فهو بليغ . قالوا : قد فهمْنا الإعادة والحُبْسة ، فما معنى الاستعانة ؟ قال : أنْ يقول عند مقاطع كلامه : اسمعْ مني ، وافهمْ عنّي أو يمسح عُثْنونه (١)، أو يفتل أصابعه ،أو يكثر التفاته من غير موجب ، أو يتساعل من غير سعلة أو ينبهر في كلامه)) .

---

(١) العثنون : شعر الذقن .

وإنّما قدّمْتُ هذا التمهيد لأنّ شعره جاء مصقولاً عذباً ، مُحْكَم الصِّناعة ، وافياً ، إنه شعر رجل له خبرة واسعة في تقويم الشعر ، والأدب يعرف مأتاه ، وسبل إجادته . وكان له راوية يحمل عنه شعره ، اسمه محمد بن موسى الضبّي ، نديم عبد الله بن طاهر ، ويرى الجاحظ أنه أستاذ مسلم بن الوليد الذي شهر في تصنيع الشعر .

اعتذارياته

أشاد القدماء باعتذاريّات العَتّابي ، لأنّها تذكّرنا باعتذار كعب بن زهير رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في البردة ، وباعتذاريّات النابغة الذبياني إلى الملك النعمان . ومن هذه القصائد العتابية بائيته التي اعتذر فيها لعبد الله بن هشام التغلبي ، وكان قد عتب على الشاعر في شيء بلغه عنه ، فكتب إليه :

وأشعثَ مشتاقٍ رمى في جفونــــه
غريبُ الكرى بين الفجاج السَّباسبِ (١)
أماتَ الليالي شوقه غيرَ زفــــرة
تَــردَّدُ مــا بين الحشـا والتـرائب (٢)

(١) أشعث : مفرّق الشعر . السباسب : الصحارى . بسبب عتاب صاحبه أحيا ليله ضارباً في أرجاء الصحارى ، قاصداً إليه ، هاجراً النوم ، يحدوه شوقه .

(٢) الترائب : عظام الصدر . الحشا : البطن والأعضاء الداخلية . لقد ترك نوم الليالي لأن الحَسْرة التي ملأتْ عليه كيانه أسرتْه .

سحبتُ له ذَيْلَ السُّــرَى وهولابسٌ
نُجَى الليل حتى مَجَّ ضَــــوءُ الكـــواكــب (١)
ومــن فـــوق أكوار المطايا لُبانةٌ
أُجِـلٌ لهـــــا أَكْــــلُ الذُّرَى والغـــوارِب (٢)
هي النفسُ محبوسٌ عليكَ رجاؤها
مقيَّـــــــدَةُ الآمــــــالِ دُونَ المَطـالِــــبِ
وتحتَ ثيابالصبر مني ابن لوعــةٍ
يَظَــلُّ ويُمْســـي مســـتليــنَ الجـــوانِــبِ (٣)
حنـانَيْـك إني لم أكــنْ بعد عـــزَّةٍ بــذلٍّ ، وأحــرزْتُ المنى بالمواهبِ (٤)
فقد سمتَني الهجران حتى أنقتَني عقـــوبــةَ زَلاتـــي وســـــوءِ منـاقبــي

(١) مُجّ : لُفِظَ . الشاعر سهران ، وصاحبه نائم .. إلى الصَّباح .

(٢) الكور : خشب الرحل . المطايا : الإبل . لبانة : حاجة . الذرى : جمع ذروة ، وهي السَّنام . والغوارب : الكواهل .

(٣) ليس للشاعر رجاء ، ولا أمل ، إلا عفـو صاحبـه (البيـت السـابق) ، لأنّـه مُلْتـاع صابر ، ليّن خاضع .

(٤) حنانيك : مفعول مطلق منصـوب باليـاء لأنـه مثنّى . والكـاف ضميرٍ في محلّ جرّ بالإضافة . يستعطفه ، لأنّ العتابي كان عزيزاً فهل يذلّ ؟ وكان بلغ آماله بمواهبـه الذاتيـة وعصاميّته .

فهـا أنـا ساع في هواك وقابض على حـد مصقول الغرارين قاضِبِ (١)
ومنصرفٌ عما كرهتَ ، وجاعـل رضـاك مثالاً بين عينــي وحاجبي (٢)

والنصّ فياض بالصّور أو التصوير البديع .

يعتذر إلى الرشيد

وَجَدَ الرشيد (٣) على العتابي لوشاية جاءته عنه ، فدخل العتابي عليه مع المتظلّمين سرّاً بغير إذن ، فلّما مَثَلَ بين يديه قال : يا أمير المؤمنين ، قد آذتني النّاس لكَ ، ولنفسي فيك ، وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك ، وما مع تذكّرك قناعةٌ بغيرك ، ولنعمَ الصائن لنفسي كنت لو أعانني عليك الصبر ، وفي ذلك أقول :

أَخِضتَني المُقامَ الغَمْرَ إنْ كان غـرّنـي سَنَا خُلَّبٍ ، أو زلَّت القدمانِ (٤)
أتتــركُــني جـدْبَ المعيشةِ مُقْتِراً وكفَّاك من ماء الندى تَكِفَانِ(٥)
وتجعلنــي سَهْـمَ المطـامع بعدمـا بَلَلْـتَ يميني بالنَّدَى ولساني ؟

فعفا عنه الرشيدة ، وأجازه ، فخرج وعليه الخِلَعُ (العطايا) وفي يده الجائزة .

---

(١) الغرار : حدّ السيف . قاضب : قاطع . سيفعل ما يريد صاحبه ، ويسير على طريقة مستقيمة في غاية الدّقة .

(٢) لن يعود إلى ما يكرهه صاحبه . ولن ينحرف عمّا يرضيه .

(٣) وجد : غضب .

(٤) الغَمْر : الكريم . سنا خُلّب : ضوء خُلّبي خادع ، بلا مطر .

(٥) مُقْتِراً : قليل المال . الندى : الكرم . تكفان : تنهمران .

ولم يُطل العتابيّ القولَ هنا ، وليس لدى الرشيد استعداد أن يستمع في مجلس خصّصه للشكاوى لقضاء الظُّلّامات لقصائد مطوّلة ، فإذا كان العتابي ماشَى قوماً أمِلَ منهم أمَلاً واهماً ، أو بدرَتْ منه هفوةٌ أخذَها عليه الرشيد فهو يعتذر من كلّ ذلك ، أفلا يوسع عليه الرشيد من عفوه ، ويغمره بصفحه ويَصِلُه ببرِّه وأمانه ، وحماه ؟ .

اعتذار آخر

رَحَلَ الرجاءُ إليكَ مغترباً ... حُشِدتْ عليه نوائبُ الدَّهرِ
ردَّتْ إليكَ ندامتي أمِلي ... وثنى إليكَ عِنانَه شُكْري (١)
وجعلتُ عَتْبَك عَتْب موعظةٍ ... ورجاء عفوك منتَهى عُذْري

وهنا أيضاً اقتضب اعتذاره ، وركّز صياغته ، وحشد معانيه حَشْداً ، في إيجاز شديد ، ولكنّه غير مُخِلّ ، وشخّص الرجاء في صورة شخص مغترب قد ازدحمت من حوله المصائب ، وهو نادم أشدّ ندامة على ما فرَط منه من تقصير في حقّ صاحبه ، ولكنه لم ييأس من عَفْوه ، ويمثّل شكره إياه بفرس ، فها هو ذا يَأطُرُ (٢) مِقْوَدَه متّجهاً إليه . وقد حوَّل العتابي عتاب صاحبه إلى موعظة وما دام الشاعر حريصاً على صفح صاحبه ، راغباً فيه ، فليقبلْ ذلك الصاحبُ العتابيَّ ، وإنّ رجاءه لصفحه بمثابة اعتذار .

---

(١) العِنان : الرَّسَن .

(٢) يأطُر : يَعْطِف (يدوّر) .

يعتذر عن تأخّره في مساجلة (١)

من الحكْمة أن يعرف المرءُ حدَّه ، فلا يتكبّر ولا يتطاول ، والواقع يشهد أن الناس درجات ، فإن سبق الأعلى مَنْ هو دونه ، فلا عارَ على المسبوق وهل يستوي الفرس العربي الأصيل بآخر هجين ، مقيّد :

ولا عـارَ إنْ قصَّرْتُ دونَ مبرّزٍ شَأى الناسَ قبلي سَعْيُهُ وشأني (٢)
وإني كمَنْ جارى جواداً بمُقْرفٍ قـوائمُـه مشكـولـةٌ بجِـرانِ (٣)

مدح البرامكة

غضب الرشيد على العتّابي لخطأ بـدَر منه ، فهرَب ، فشفع له جعفر البرمكي ، أو أبوه يحيى ، عند الرشيد ، فقال العتابي يشكر لجعفر حُسْنَ مسعاه :

ما زلْتُ في غمراتِ الموتِ مطَّرَحاً
قد ضاقَ عني فسيحُ الأرض من حِيَلي (٤)
ولم تزلْ دائباً تَسْعَى بلطفِـك لـي
حتـى اختلَسْتَ حيـاتي من يَـدَيْ أجَلِي

---

(١) المساجلة : المباراة ، المسابقة ، المفاخرة .

(٢)شأى : سبق .

(٣) مقرف : هجين ، غير أصيل . الجواد : الفرس الأصيل . الجران : موضع الذبح من البعير . إذا ربطت أرجل الجمل بعنقه تعثّر في السَّيْر .

(٤) غمرات : شدائد .

مدح الرشيد

إذا عزم الرشيد ، فهو متّكيء على فكر مستنير يتّقد بهداية الله ، وإنّ الرشيد أجلُّ مِنْ أنْ يوفّيه المدح حقّه ، لكنّنا إنما نُعْرب عن مكنونات أنفسنا فإن الله تعالى قد أثنى على آل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ إنّما يريدُ الله ليذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويطّهركم تطهيراً ﴾ (١):

مُستَنْبِطٌ عزمَاتِ القَلْبِ من فِكَرٍ ... مــا بينهــنَ وبيــن الله معمــورُ

فُــتَّ المـدائحَ إلا أنّ أنفسـَنـا ... مُستَنطَقاتٌ بما تُخْفي الضَّمائيرُ (٢)

ماذاعَسى مادحٌ يُثْني عليكَ وقدْ ... نــاداكَ في الوَحْي تقديسٌ وتَطْهيـرُ

جمال النصيحة

مَنْ يلومُك على ما قد يبدُر منك من مآثم وهفوات خيرٌ ممّن يتملّقك فإنّ الذي يكتُمك عيوبَك يُضِلّك ويضيّعك :

لــومٌ يُعيذُكَ من سوء تُقارفُه ... أبقــى لعرْضِكَ من قولٍ يُدَاجِيكا (٣)

وقد رمى بكَ في تيهاءَ مُهْلِكَةٍ ... مَنْ بات يكتمك العيبَ الذي فيكا (٤)

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية / ٣٣ / .

(٢) الضمائير : الضمائر .

(٣) يعيذك : يحميك . تقارف : تكتسب . العِرْض : ما ينبغي على المرء أن يصونه . يداجي : ينافق .

(٤) تيهاء : صحراء مُضِلّة .

اتباع الهوى تَهْلُكة

آتاه الله نِعَماً جليلة ، كثيرة ، وافية ، فاستقبلها بالمعاصي ، فزالتْ ، مع أنّ آيًا منها كان كفيلاً بأنْ يحقّق له ما يريد ، ولكنّه غلبه هواه ، ونفسُه التي لم يَفْطِمْها ، وما أشدّ ترويض النفس ! .

وكم نعمةٍ آتاكها الله جَزْلَةٍ مبرَّأةٍ من كل خُلْقٍ يَذيمُها (١)
فسَلَّطْتَ أخلاقاً عليها ، نميمةً تعاورنْهاحتى تفرَّى أديمُها (٢)
وكنتَ امرأً لو شئْتَ أن تبلغ المدَى بلغْتَ بأدنَى نِعْمةٍ تَسْتَديمُها (٣)
ولكنْ فطامُ النفسِ أعسرُ محملاً من الصخرة الصَمّاء حين ترومُها (٤)

الخاتمة

كانت ثقافة العتابي واسعة ، وعقله دقيقاً ، فاستطاع أن يحقّق ريادة في نثره وفي شعره ، فكان مؤلّفاً عالمًا ، وكاتباً بليغاً ، وشاعراً أسّس مذهب التصنيع .

(١ جزلة : كبيرة . يذيم : يعيب ويُنْقِص .
(٢) تفرّى : تقطع . الأديم : الجلْد ، الوَجْه .
(٣) المدى : الغاية . تستديمها : تستبقيها .
(٤) الصماء : الصَّلْدة : تروم : تطلب .